

# العنف الأسري

أ. أناهيد السميري

بسم الله الرحمن الرحيم

أخواتي الفاضلات، إليكم سلسلة تقاريف من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها الله، وفق  
الله بعض الأخوات لتفريغها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تنزل في مدونة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ)

[http://tafaregdros.blogspot.com/!](http://tafaregdros.blogspot.com/)

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح.  
- هذه التقاريف من اجتهاد الطالبات ولم تطلع عليه الأستاذة حفظها الله، أما الدروس المعتمدة من الأستاذة  
فهي موجودة في شبكة مسلمات قسم (شذرات من دروس الأستاذة أناهيد)

[http://www.muslimat.net](http://www.muslimat.net/)

- الكمال لله عز وجل، فكتابه هو الكتاب الوحيد الكامل السالم من الخطأ، فما ظهر لكم من صواب فمن  
الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشيطان، ونستغفر الله..

والله الموفق لما يحب ويرضى.

## عناصر الدرس:

- الأسرة آية من آيات الله، لا بد من التفكير فيها.
- القاعدة الأولى: أن المودة والرحمة أحد عطايا الله،
- كلما نقص الإيمان، نقصت عطايا الله (ظاهرة العنف الأسري أحد شواهد ضعف الإيمان في المجتمع).
- لعلاج العنف الأسري علينا أن ننشر الإيمان، وقاعدة الإيمان معرفة الرحمن.
- لو عرفنا الله لاستقامة حياتنا، وعندما لا نعرف الله يصاب الإنسان بأمراض قلبية تسبب له العنف الأسري، ومن أشهرها مرض العلو.
- القاعدة الثانية: الشعور أن الأبناء هبة أعطانا الله والمفروض ما نكفر بهذه الهبة
- أحد أسباب العنف الأسري الشعور بالثقل من وجود الأبناء .
- القاعدة الثالثة: الشعور أن التربية من الله ونحن مرشدين في التربية.
- العنف الأسري أحد أسبابه: عدم التعلق بالله في تربية الأبناء
- القاعدة الرابعة: أن الشريعة أرشدتنا لقواعد التربية، منها : الرفق
- الرفق لا يكلف كثيراً في مقابل أن العنف استجابة لهوى النفس وبعده عن التقوى.
- توضيح للتقوى.
- شرح معنى اسم الديان لعلاج مشكلة شعورنا أن هؤلاء الأبناء مُلِك لنا وأن الله تعالى لن يحاسبنا عنهم.
- مما يجدر من ظاهرة العنف الأسري (تنمية المراقبة لله في التعامل مع الأبناء).
- تعريف العنف الأسري.
- من أنواع العنف: العنف الجنسي (أمور ينبغي لنا الانتباه لها لمعرفة إن حصل هذا العنف).
- من أنواع العنف: العنف بالكلام.
- تاريخ العنف.
- الأسباب التي تساعد على وجود العنف الأسري (ذاتية، اجتماعية، مجتمعية).

## بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الحمد لله الذي يستر لنا هذا اللقاء، ونسأله سبحانه وتعالى أن يجعله لقاءً مباركاً مرحوماً اللهم آمين.

نناقش اليوم موضوع من مواضيع الساعة! الذي لم يطرأ على مجتمعنا إلا متأخرًا وهو موضوع (العنف الأسري).

نريد أن نقرر ظواهره، وطريقة علاجه، لكن قبل أن أدخل في الموضوع لابد أن أقدم بمقدمة للكلام حول الأسرة نفسها، وكيف أنها من نعم الله عزوجل على خلقه.

نبدأ أولاً بتقرير أن :

### الأسرة هذه المكونة من الزوج والزوجة بنفسها آية من آيات الله

والله عزوجل في كتابه يقول : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾<sup>١</sup>

هذه الآية رغم تكرارها، ورغم استشهادنا الكثير بكلمة مودة ورحمة في هذه الآية، لكنها لم تأخذ حقها من جهة التفكير.

وفي بداية سورة الروم يذم الله عزوجل بعض الخلق في وصفهم: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾<sup>٢</sup>

يعني سيكون على الأرض قوم يعلمون فقط ظاهر الحياة الدنيا، والآخرة ما حالهم عنها؟ غافلون عنها، الذي يغفل في حياته عن الآخرة سيعيش تحت ظل أفكاره، تحت ظل قناعاته، ومن ثم يفسد حياته وحياته غيره.

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ ﴾ ومن آيات الله الدلالات على كمال صفاته.. آخر الآية ﴿ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ يعني هذه الآية ما ينتفع

بها، ولا يفهمها، ولا يستفيد منها إلا من يقوم بعبادة التفكير، وهذه الآية منهج أن أردنا الإصلاح للبيوت.

من الآية الأسرة عبارة عن ماذا؟ عبارة عن أحد أدلة كمال الله، كمال صفاته سبحانه وتعالى، لو كنت تعبد الله بعبادة التفكير كل أسرة قائمة موجودة تراها من آيات الله؛ لأن اجتماع أشخاص وبناء البيوت ليس أمر طبيعي، إنما في الحقيقة هو أحد آيات الله عزوجل، من جهة أن التراكيب النفسية الموجودة في النفوس، كثرة الاحتكاك، ظروف الحياة.. كل هذه أشياء تسبب هدم الأسرة، ومع ذلك نرى أن الأسر لازالت قائمة.

لو قلت لك : ستجلسين مع شخص عشرين سنة، وتخالطينه ليل نهار، أقرب شعور يدخل إلى قلبك شعور الملل! يعني لو طفل صغير يناقش هذه المسألة يقول كيف أنا أعيش بنفس المكان ومع نفس الأشخاص ولا أمل؟!!

الذي يحصل في البيوت عكس ذلك، كل ما زادت الفترة الزمنية، زاد الترابط، وهذا دليل على أن هذه آية من آيات الله.

<sup>١</sup> [الروم: ٢١]

<sup>٢</sup> [الروم: ٧]

كم فعل من أفعال الله في الآية؟

١- ﴿خَلَقَ لَكُمْ﴾ إذن نظر عندما يقول الله لنا ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ أي مما تتعبدون الله بالتفكر فيه، عليكم أن تعبدوا الله بالتفكر في هذه المسألة أن ﴿خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾، ماذا يحصل مع هؤلاء الأزواج؟ ﴿لَسَكُنُوا إِلَيْهَا﴾، من الذي يُنزل السكن؟! الله عزوجل.

٢- ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ يعني أنت الآن كلما رأيت مودة ورحمة في البيوت تفهم أن الذي أعطها وأنزلها هو الله عزوجل.

على ذلك كلما رأيت بيتاً فقد المودة والرحمة سترشد أهله أن الذي يُعطي المودة والرحمة هو الله عزوجل، والذي يأخذها ويمنع أهلها هو الله عزوجل، فكل بيت فيه مودة ورحمة أنزلها الله، وكل بيت ليس فيه مودة ورحمة نزعها الله.

إذا أردت أن تقيمي دورة للمقبلات على الزواج وعنوانها كيف تنجحين في تكوين أسرة فيها مودة ورحمة، ماذا ستقولين؟ أن المودة والرحمة هذه هبة من الله، فإذا أردتها تعلق بالله، وإذا رأيتها نزعت راجع علاقتك بالله، ثم اعلم أن الله عزوجل هو الذي يسبب أسباب المودة والرحمة، كم امرأة تزينت وتزينت وماذا يحدث في الطرف الثاني؟ ينصرف وينصرف وينصرف! كم امرأة تقول لك أنا فعلت كل شيء ممكن تفعله المرأة، ومع ذلك غير مقبل عليّ! كل هذا لأن آية في كتاب

الله لم يلتفت إلى فهمها، كل أسرة تحتاج أن تعبد الله بعبادة التفكر؛ لأنه يقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ

يَتَفَكَّرُونَ﴾ كل أسرة موجودة آية من آيات الله، كما اتفقنا المشاعر الإنسانية الطبيعية أن شخص احتك به ليل ونهار سيتولد في القلب ملل منه، هذه طبيعة الإنسان، إلا عند الأسرة فالله يجعل العكس، كل ما زادت الفترة الزمنية زادت الألفة والمحبة؛ لترى آية من آيات الله، كيف أن هذه القلوب بيد الله، يصرفها سبحانه وتعالى كيف شاء.

وهذه نقطة البداية في الكلام عن العنف الأسري:

لا يصبح هناك جو عنف أسري إلا عندما نفقد هذه القاعدة:

**أن العودة والرحمة أهد عطايا الله، كلما نقص الإيمان، نقصت عطايا الله.**

كلما نقص الإيمان نقصت المودة والرحمة، كلما نقصت المودة والرحمة التي تأتي بالرفق، كلما استبدل الرفق بالعنف. إذن ظاهرة العنف الأسري عبارة عن ترجمة لضعف الإيمان المنتشر في المجتمع؛ لأن المودة والرحمة هذه من عطايها، ما تستطيع أن تخلق بين زوجين مودة ورحمة مهما فعلت، ولا أن أدخل بنتي على بيت زوجها وأقول لها ترى أنت جميلة لن يرى غيرك، ترى أنت رشيقة ما يستطيع أن يلتفت إلى غيرك، أنت لبقة، كلامك جميل كوني واثقة من نفسك.. أبدا لا يمكن أن أدخل بنتي بهذه الطريقة، بالعكس علي أن أقول لها: كل المقومات التي عندك ما تنفعك إلا إذا نفعك الله بها.

وعلى هذا أول ما يبدأ النقص في المودة والرحمة التفت إلى المصدر الأساسي لهذه المودة والرحمة فتنحل المشكلة، تزيد إيمانك تزداد عطايا الله، تنقص إيمانك تنقص عطايا الله، ونقص المودة والرحمة مجرد ذوق، الله لا ينزعها نزعاً لكن تنقص قليل؛ لكي تراجع نفسك.

على هذا أول قاعدة نتفق عليها في مسألة العنف الأسري: **ظاهرة العنف الأسري أهد شواهد ضعف الإيمان في المجتمع.**

إذا كانت أحد شواهد ضعف الإيمان، إذن بكلمة مختصرة لو أريد أعالج العنف الأسري، ماذا أنشر؟

أنشر الإيمان، لو انتشر الإيمان بين أفراد المجتمع سيقابل ذلك أن الله من عطايه المودة والرحمة، ولا يمكن أنك تعيشي الحياة، تنصوري أن الحياة شيء والدين شيء، نحن عباد نعلم يقيناً أننا نمارس العبودية والعبادة، وهذا مفهوم مهم جداً، طول الحياة تعيشي مفهوم العبودية، وعندما تأتي تصلي، تصومي، تزكي، تحجي.. نعب عن العبودية بالعبادة، نحن طول الوقت عندنا مشاعر في قلوبنا أننا فقراء، والله هو الغني، أننا عاجزين والله هو القادر، أننا ضعفاء والله هو القوي.

لا بد أن نضع المشكلة أمام أعيننا وأمامها الحل، لا بد أن نفهمها بعمق؛ كي نعطي المسألة حقها، ظاهرة العنف الأسري مردود نقص الإيمان، العنف لا يأتي إلا عندما يفقد الرفق، والرفق لا يوجد إلا بسبب أن الله يهب لخلقه المودة والرحمة.

**مفهوم نقص الإيمان:** هناك من يقول نحن نصلي ونصوم ونعبد الله ونذكره ونقول أذكار الصباح والمساء، فأين نقص الإيمان؟! الإيمان!

نحن في حياتنا لا بد أن نفهم أننا نمارس العبودية، نحن عبيد لملك عظيم، ثم وقت صلاتك، وقت صيامك، وقت حجك، وقت زكاتك تمارس العبادة التي هي تعبير عن العبودية، ماهي العبودية؟

العبودية الشعور الدائم في القلب بالعجز، والنقص، والفقر، هذا الشعور المفروض يولد طاقة إيجابية كما يعبرون، الطاقة الإيجابية تأتي بالذلّ للملك العظيم، الذل من الفقير للغني على الحقيقة، الذل من الضعيف للقوي على الحقيقة، الذل من العاجز للقادر على الحقيقة.

لكن نكتشف أننا ضعفاء وفقراء وعاجزين ثم نتخبط، نريد دفع هذه المشاعر عن أنفسنا، هذه المشاعر مزعجة، مزعجة أنك تشعر نفسك فقير، فقير إلى طعامك تأكله، فقير إلى شرابك تشربه، فقير إلى فراشك تنام عليه، فقير إلى حذائك كي تلبسه لتسير.. هذا هو الفقر، أنت لست غني بذاتك، أنت تحتاج أشياء كثيرة كي تبقى مستقرًا، أكلت وشربت تحتاج دورة المياه، خرجت منها بدأت تشعر بالجوع، مارست العمل تريد أن تنام، نمت تريد أن تقوم... طول الوقت وأنت تتقلب في فقرك، عندك أمان كثيرة لا تستطيع أن تصل إليها، لست قادرًا عليها، أشياء كثيرة أمامك لكن ما عندك حول وقوة لتمد يدك وتأخذها، مشاعر الضعف مزعجة لكنها تعينك على دخول الجنة.

ربنا عندما خلقك من تراب، وجعلك فقير، عاجز، ضعيف؛ كي يعينك أن تدخل الجنة، لو خلقنا من ألماس كان جاءنا الطغيان! ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَأَتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ﴾<sup>١</sup> أي مفاتيح أماكن الكنوز لا يستطيع حملها العصبة (الجماعة الذين فيهم قوة) لكنه ماذا استفاد؟! طغى، وهذه إحدى الأوصاف التي تمنع الإنسان عن ربه.

مثل ذلك الذي يبسر للعسرى، ما صفاته؟ ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى﴾<sup>٢</sup> ربنا يعطيه عطايا ويستغني عن ربه.

### ما علاقة هذا بالعنف الأسري؟

نرى عندما يكون الوالدين يشعرون بمشاعر العبودية، والذل والفقر والضعف، ثم يصرفونها من أجل أن يتعلقون بالله، عندما يقول الأب والأم ((وَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ))<sup>٣</sup> لما يتعلق بجمال الله وهو شاعر بفقره، وعندما يقول ((اللَّهُمَّ أَهْمِنِي رُشْدِي وَأَعِزِّنِي مِنْ شَرِّ نَفْسِي))<sup>٤</sup> يعلم أن فيه شرًا، لا بد أن يلهم رشده، ما يخذله الله مادام وقف عند بابه. أو يقول مثل ما أوصى الرسول صلى الله عليه وسلم عليًا قل: ((اللَّهُمَّ اهْدِنِي وَسَدِّدْنِي))<sup>٥</sup>، هل تتصورى عائلة صدقت في ذلها وانكسارها لربها، تعلقت بجماله، صدقت في إحساسها بالضعف، والخوف من النفس؛ فعندما يأتي عنف يأتي من هوى النفس.

إذن الإيمان ليس معناه أن الناس يصلون ويصومون، قد يصلي المصلي وهو لا يعلم من وقت ما كبر لوقت ما سلم ماذا يقول! نعم هذا أحسن حالًا ممن لا يصلي، لكن الإيمان هو معرفة الرحمن، أليس رأس الدين كله الإيمان بالله! وأليس رأس الإيمان بالله معرفة الله!

وأنت في الحياة اسمك عبد، فإذا كنت عبدًا محققًا للعبودية لا يمكن أن تعتدي على غيرك، لما تعرف أنك عبد لملك عظيم.

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ: كُنْتُ أَضْرِبُ غُلَامًا لِي فَسَمِعْتُ مِنْ خَلْفِي صَوْتًا: ((اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ لِلَّهِ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ

عَلَيْهِ!)) فَالْتَفَتُ فَإِذَا هُوَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هُوَ حُرٌّ لِرُوحِهِ اللَّهُ. فَقَالَ: ((أَمَا لَوْلَمْ

تَفْعَلْ لِلْفَحْكَ النَّارَ أَوْ لَمَسْتَكَ النَّارَ))<sup>٦</sup> ماذا كان يحتاج؟ وعظ كي ينتهي عن ضربه، فقط كلمة واحدة وانتهى.

فالضعف الحاصل في المجتمع سببه الرئيس أنهم لا يعرفون الله.

<sup>١</sup> [القصص : ٧٦]

<sup>٢</sup> [الليل : ٨]

<sup>٣</sup> رواه النسائي والبخاري بإسناد صحيح والحاكم وقال صحيح على شرطهما

<sup>٤</sup> رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن غريب. وقد روي هذا الحديث عن عمران بن حصين من غير هذا الوجه.

<sup>٥</sup> رواه مسلم في صحيحه.

<sup>٦</sup> رواه مسلم في صحيحه.

يقال بعد كل صلاة: ((اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ))<sup>١</sup> لكن ما معنى اسم الله السلام؟! ماذا تعرف عن الاسم؟! لا يعرفه، ولذلك لا تراه مسلمًا الخلق من شره.

ومثله بعد كل صلاة نقرأ سورة الإخلاص، تقول لنفسك أنا لي واحد، وهو صمدي أي هو سيدي الذي قد كمل في سؤدده، أفزع إليه في كل حاجتي، وأتيقن أنه يسد حاجتي، فلما يذكر الإنسان نفسه أن له مفزعًا وركن شديد، ماذا يحصل في ضغوطه إذا كان متيقن؟ المفروض تنسحب كلها، كأنها تُشطف كلها، لو ما حصل الصمود والفرع للملك العظيم حصل العكس، تغضب وتضرب أولادها، يغضب ويضرب أولاده، ويقولون ضغوط عمل! منذ زمن ضغوط الحياة كلها بلاءات لكن مع ذلك كان القوم مع بلائهم أرحم ما يكون لأن الرحمة أمر فطري موجود ينميه الله في القلب، لكن لما تصبح الدنيا في القلب والآخرة غير موجودة من جهة، ولما يصبح الرب الملك العظيم مجهول وما يعلم إلا ظاهرًا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون، تأتي قسوة القلب! يكون شيء من لحمك ودمك وتعذبه!

الطبيعي أنه تتكون المحبة في قلب الأم مع حركة الجنين، فكيف يمكن أن تقسى القلوب! أتكلم عن العنف الأسري من جهة الأمهات وليس الآباء، كيف يكون الشيء قطعة مني أخرجته من بين أضلعي، أتحوّل إلى معذب له! هذا ما يقبله العقل، إلا أن الفطر السوية مع القلوب انشغلت بالدنيا، وسيأتي هذا الكلام من ضمن الأسباب.

المقصود أن ضعف الإيمان ظاهرة يجب علاجها، ضعف الإيمان سبب العنف الأسري، بكلام مختصر: إذا كنت مؤمن بالله وبكمال صفاته تعرفه حق المعرفة، ستمارس في الأرض العبودية وليست تكبر ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا

شَيْعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً﴾<sup>٢</sup> فرعون أصيب بمرض العلو وظن نفسه شيء، كان من آثار العلو أنه يستضعف طائفة، لا تظني لما أتتك الآية كان الخبر عن فرعون ونحن ما لنا علاقة، العلو مرض من الأمراض يصيب الناس، أثره الاستضعاف، الاستضعاف للضعفاء.

أول شيء ونحن ندرس ظاهرة العنف الأسري لابد أن نعرف أن الأسرة هذه هبة من الله، عطية من الله، آية من آيات الله كل ما تراه من مودة ورحمة في العائلة اعلم أنها من عطايا الله، كل ما نزعنا أن الله عزوجل يبين لك أن ضعف حصل في الإيمان، فلما تريد أن تعالج العنف الأسري عالج قاعدته (الإيمان)، قاعدة الإيمان معرفة الرحمن، نحن نعرف تفاصيل كثيرة عن أمور كثيرة لن نسأل عنها لا في قبورنا ولا لما نلقى الله، في المقابل علمنا عن الله أقل!

أليست الجرائد تشتكي من كثرة ما فيها، أليست المنتديات وصفحات الانترنت تشهد بتقليبنا ومرورنا، كل هذه القدرات تظن نفسك لن تحاسب عنها! ستحاسب عن هذا كله، القارئ ليس مثل الذي لا يقرأ، كل هذا يحتاج له الرجوع للوراء.

<sup>١</sup> رواه مسلم في صحيحه.

<sup>٢</sup> [القصص: ٤]



فلكي أعمل برنامج لإصلاح المجتمع من جهة الأسرة، لابد أن أعرف القوم الله، إذا عرفوه لانت قلوبهم، إذا عرفوه تعلقوا به، إذا عرفوه علموا أنه قادر عليهم، سمعنا كيف أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال للرجل الكلمة التي أوقفته، ((لله أقدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَيْهِ!)) لما نفكر في اسم الله الديان سنتحل بعض المشاكل من التعدي الحاصل من الكبير للصغير.

نحن لو عرفنا الله لاستقامة حياتنا، وعندما لا نعرف الله يصاب الإنسان بأمراض قلبية تسبب له العنف الأسري، ومن أشهر الأمراض التي تسبب العنف مرض العلو ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾<sup>١</sup> معناه أن العلو أحد الأمراض التي تصيب النفس.

### ما هو مرض العلو؟ يصيب من؟

مرض العلو له علاقة عكسية بالحقوق، بمعنى أن العلو هو مشاعر تجعل الإنسان يشعر أن ليس لأحد حق عليه، مثلاً تعرفون أن السلام حق لكل مسلم، هل قرأت نصاً شرعياً يقول لك أن السلام فقط للكبار؟! كم مرة شعرنا أن هؤلاء الصغار لهم حق علينا أن أقول لهم السلام عليكم؟!

مرض العلو يدخل الإنسان وهو لا يشعر، فالصغار والخدم وكل أحد مستضعف يمارس عليه مرض العلو، مرض العلو ليس شرطاً أن يكون فيه إفرازات، يكفي أن الإنسان يشعر بنفسه، وأن لا أحد حق عليه.

أولادنا لهم حق علينا، لما يغضبونا ماذا نفعل لهم؟ نقول : أنا ربيتك، وصرفت عليك، وأعطيتك.. وهذا من العنف لأن الكلام يعتبر من العنف، هل تعرفي كبيرة المن ماذا تفعل في عمل العبد؟! تُذهب العمل! لماذا تمني عليه بشيء من حقوقه؟! الله عندما وهبك أبناء كي ترميهم في الشارع أو كي تربيهم! صارت التربية التي هي ربيسة من عملك تمني بها!

ومثله على هذا الزوج المسكين، حتى الزوج يُعامل بالعنف الأسري؛ لأنه يأتينا تعريف العنف هو التعدي بالكلام هذه المرحلة الأولى، ثم التعدي البدني، فالتعدي بالكلام طول الوقت يمارس عليه، وهو من كفران العشير.

إذا عرفنا الله تأتي المودة والرحمة، إذا لم نعرف الله يأتي مرض العلو؛ لأنك لو عرفت الله ستصبح عبداً، كسيراً، ذليلاً، تخاف، تحمل هم، تعرف أنك ستحاسب، ولما تصاب بالعلو تظن أن لا أحد له حق عليك.

إذن أول كلمة لو أريد أن أقدم برنامج للعنف الأسري سأعلم الناس عن الله؛ لأن كل ذل وانكسار يساوي رفق، يساوي رحمة، يساوي عطايا من الله، لو تعلقت بالله وهبك الله الرحمة، الرحمة في القلوب من إشارات الإيمان.

أيضًا مما تقرر ونعلم يقينًا أن :

### الأبناء من آثار اسمه الوهاب

بدليل قوله تعالى : ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنْ أَاءَا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ (٤٩) أَوْ

يُزَوِّجُهُمْ ذَكَرًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مِنْ يَشَاءٍ عَقِيمًا﴾<sup>١</sup> فمن اختبارات الله وابتلاءاته لخلقهم أن يمنع عنهم العظيمة التي هي عطية الأولاد، عطية، هبة، أحد زينة الدنيا ومتعتها، عطية تدخل البهجة إلى القلوب، زينة الحياة الدنيا، انظر كيف يمنع بعض الخلق هذه العطية؛ لأن الله أراد بهم أمرًا، المشكلة الآن ليس في من منع بل في من وهبه الله، فلم يكن معاملًا لله فيما ينبغي، فالذي مُنِعَ يكون فيه انكسار لطلب النعمة، والذي وُهِبَ وما عرف أن الله هو الوهاب يصاب بالبطر، فأحد أسباب العنف الأسري الشعور بالثقل من وجود الأبناء، ما نشعر أن الله هو الذي وهبهم، نعمة تستلزم منك الشكر، فإذا لم تعبد الله باسمه الوهاب، ويكن منك شكره، لا بد أن يأتي عكس ذلك وهو الكفر بنعمة الله، كل مظاهر العنف الأسري كفر بنعمة الله، ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾<sup>٢</sup>.

كل مرة تستثقل الهبة وتقول لأولادك أنا كنت في بيت أهلي معززة مكرمة ومن يوم ما رأيتمكم وجئتم ما رأيت الخير!! إلى آخر الكلام الذي نسمعهم إياه، كل هذا الكلام عنف بنفسه، كل هذا كفر بنعمة الله، لا بد أن نفهم أن الخطايا التي نرتكبها في العنف ليست خطية بيني وبينهم وما لله حق فيها، بل هي اعتداء على حق الله ثم اعتداء على حقهم، والله يقول: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾<sup>٣</sup> ما نراه من محق البركات في البيوت، ما نراه من انقلاب من الأبناء على آبائهم، ما نراه من عنف من الأبناء على الآباء إنما هو من آثار كفر النعمة، يعني جعل الله هؤلاء هم عذابك الشديد في الدنيا قبل الآخرة.

متى تحسسنا أنها نعمة متى ما زادنا الله بركات لهم، القضية ليست قضية حسابية، أنت عبد مرزوق، مكتوب لك الرزق، ثم أنت عبد شاكر تنزل عليك البركات، ألا تسمع قول الله عزوجل في الحديث القدسي: ((يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعَمُونِي أَطْعَمْتُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسَمْتُمْ)) تأتي أم عندها أربع بنات وتقول عندي مصيبة كبيرة كيف أكسي هؤلاء الأربعة! نعيش الحياة كأننا ما نعرف الله، قولي يارب أكسني، وأول ما تضعي رجلك في السوق تجدي كسوتك، وبأرخص ما يكون يأتي لك، أنفع ما يكون يأتي لك، أليس دائمًا نقول بكلام بعيد عن وصف الله عز وجل: كأني مرتبة لها! كذا تأتيني أرزاق من الله ونقول كأني مرتبة لها.

<sup>١</sup> [الشورى : ٤٩، ٥٠]

<sup>٢</sup> [الإنسان : ٣]

<sup>٣</sup> [إبراهيم : ٧]

<sup>٤</sup> رواه مسلم في صحيحه.

ولازلت أذكركم نحن نقول في الصباح والمساء ((وَلَا تَكْلِبْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةً عَيْنٍ)) أي لا بد أن أعتقد في قلبي أنني لا أستطيع تدبير نفسي، وأقول لنفسي يارب لا تكلني لنفسي هذه طرفة عين، في رواية أحمد ((لَنْ تَكْلِبَنِي إِلَى نَفْسِي تَكْلِبَنِي إِلَى ضِعْفٍ وَعَوْرَةٍ ، وَذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ)) يعني لو اعتمدت على نفسك تأتي مصائب، ولو اعتمدت على نفسي أفصح نفسي، ((وَإِنِّي لَا أَتَّقُ إِلَّا بِرَحْمَتِكَ)) ما يتق إلا في رحمة الله، يعتمد على الله.

لا تذكر لي الأسباب؛ لأن الله هو الأول الذي يأتي بالأسباب، يا أهل هذه البلدة المباركة قبل أن يفجر الله لنا البترول، ماذا كان حال هذا البلد؟ من كان في خاطره هذا البترول؟! من مد يده ليأتي بالبترول؟! ومن يعرف أنه من أربع مئة عام قد هبأ الله الأسباب لهذا البلد أن تكون على هذه الرفاهية، هل البترول في غمضة عين يصير! في الجيولوجيا يقولون أنه يحتاج بين ثلاث مئة عام وأربع مئة عام كي يخرج هذا البترول، يهيء لك قبل أربع مئة عام رزقك، ثم يكون شكرنا على هذا نعتمد على الأسباب! و كل مرة أقول لأولادي ما أدري ماذا سيصير مستقبلكم! الذي هبأ لك الماضي هو الذي سيهيء لك المستقبل، يتقلون عليك لو كنت أنت رازق لهم، لكن رازقهم في السماء، فإذا كان رازقهم في السماء الواجب عليك تشكره أن وهب لك ما يُجري رزقه إليك.

كنت تُرزق لوحدك، الآن أنت وهو، ثم والبت الثانية، والرابعة، والخامسة... اجتمعنا على الأرزاق، إلا أن طمعاً في الدنيا جعل الناس ما يروا عطايا الله، نحن الآن نخزن في بيوتنا حق شهور ومع ذلك يشترتون من الوجبات السريعة، وإذا لم نعطيهم حق الوجبات السريعة يغضبون ويقولون كل يوم فقط هذا الأكل! هذا تمرين نحن مرناهم إياه، فهم يتربوا على عدم الرضا على أي شيء، نحن نحني ثمرات كفرنا بنعمة الله!

إذن هذا العنف الذي يحصل في المجتمع أثر من آثار عدم الشكر، لو شكرنا لأنزل الله عز وجل الرحمة كما أنزل الرزق في قلوبنا.

مما نقره أيضاً:

**أن التربية والحفاظ على هذه الأسرة إنما هو من آثار اسمه الرب**

بمعنى أنك تُرَدِّد كل يوم (رب العالمين، الرحمن الرحيم) فما معنى اسم الرب؟

الرب تأتي من يربّي، الرب هو الذي يربي عباده، فالله عزوجل رب العالمين، يربّيهم، يحوّلهم من حال النقص إلى حال التمام.

من يربي أولادنا؟ الله، فإذا تمسكت بجباله، جعل في قلبك الطمأنينة، وهداهم الصراط المستقيم، لا تُفنع نفسك بثقلهم عليك وتقول ما أعرف أربيهم، الله هو الذي يربيك ويربيهم، لكن المشكلة نحن لم نر تربية الله، الله عزوجل يربي عباده لكن لأننا لا نعرف الله، لا نعرف نفسر أفعاله.

سأضرب لكم مثلاً بعيداً عن الأبناء: كثير من البنات في المدارس تدرس وتجتهد وتبذل جهدها، وتذهب للاختبار ولا توفّق، ثم بعد أيام تدخل اختبار آخر ويكون عندها ظروف في البيت وأوضاع وما ذاكرت، وقامت الفجر وصارت تدعي ربنا، وطول الطريق وهي ذاهبة للمدرسة تدعي ربنا، تدخل الاختبار وتوفّق، عندما درست لم توفّق، لما دعت وُفّقت، ولكن هي لا تخرج بهذه النتيجة، فتقول لوالدتها أنا لما درست ما حليت، ولما لم أدرس حليت! تأخذ قاعدة، في المرة الثالثة تدخل الاختبار بدون دراسة، وبدون دعاء، ما توفّق، فتحتار ماهي القصة؟!!

لو أن الأم تعرف الله، في هذا الموقف ستقول لها لما دخلت وأنت معتمدة على نفسك كان التربية أن يربك الله أنك لا تستطيع شيئاً، ولما دخلت معتمدة عليه أعطاك، وعندما دخلت لا درست، ولا اعتمدت عليه خذلك، الحل؟! لا بد أن تدرسي لكن لا بد أن يكون مع الدراسة ثقة بالله.

هذا موقف حقيقي حصل لطالبة في الصف الثاني أو الثالث الابتدائي، البنات في هذا السن، سن تبديل أسنانهم، أكلمك عن تربية الله لخلقه منذ أن يدركون ويفهمون الله يربي خلقه لكن أهم شيء يكون مع هذا الذي يترى أحد يفسر له التربية.. هذه الطفلة في الفصل، في هذه الحصة وقع سن أحد زميلاتها ونزل دم، قامت المعلمة أخذتها لدورة المياه واهتمت بها.. الطفلة الثانية رأيت اهتمام المعلمة بها، وبعد أسبوع بدأ سنّها يتخلخل، قالت أمها لها تعالي أخرجك لك، تقول لا لا، لأنها متعلقة باهتمام المعلمة، فلما دخلت الفصل وسقط السن في وقت وجود المعلمة، أخذت المعلمة منديلاً وأعطته لها، وأكملت الشرح ولم تهتم بها! قد تقولي تحطمت البنت، ونعيش المشاعر هذه، لكن هي لا تحطمت ولا شيء، فلما عادت الطفلة للبيت حكّت لأمها ما حصل لها وما حصل في السابق مع زميلتها..

فالأم التي تعرف عن الله تقول لها: ربنا يربيك لما تتعلقي بالخلق يقطع الله نفعهم عنك، لما تتعلقي بالله يسوق إلى حدك من يعينك، ونبسّط لهم الكلام حسب سنهم.

**إذن ما هو دوري في التربية؟** ترجمة أفعال الله للخلق، الله يربي خلقه، والخلق يفهمون تربية الله، أنت كبير وتفهم ما تفعل، لكن الصغير تترجم له فعل الله، تقول له لو تعلقت بالله، ربنا ما يخذلك..

قد يحصل منا مواقف خاطئة، مثلاً أنا أذاكر له، وغداً يذهب للمدرسة، وأقول له هذا السؤال مهم، وهذا السؤال مهم، أكيد هذا يأتي في الاختبار، ولما يحصل مثل ما قلت له يأتي ويقول أمي كلامك صحيح، فيأتي انتفاخ، وأقول له قلت لك كي تعرف أن أمك كذا وكذا! مع أنك أتت لك فرصة ثمينة أن تذكري له أنه ما يرشدنا إلا الله، ما يعلمنا إلا الله، هذه من عطايا الله، أقول له أنا وأنت في الحياة في حالة عمى لو لم يبصرنا الله.

أسماء الله المفروض تدور في حياتي مع الطفل من وقت ما يفتح عينه، ويفهم الخطاب، ويردّ الجواب، وأنت تتكلمي عن الله، إلى أن تغادري الحياة أو هو يغادرها، ونحن نقول ربنا يعطينا، يهب لنا، يوفقنا، يرزقنا، يرشدنا، يطعمنا، يسقينا، يكسينا، لا تتكلمي إلا عن الله، بذلك هو يكون عبدًا لله، بذلك تكون التربية، أنا في نفسي لست قادرة على تغيير شيء، كيف أغير في هذا؟! الله وهبه، وكان ضامنًا لتربيته، لكن متى ما علمته أنت عن الله.

عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: ((يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ عَظَمَ؟)) قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: ((يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمَ؟)) قُلْتُ:

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾. قَالَ: فَضْرَبَ فِي صَدْرِي وَقَالَ: ((وَاللَّهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ!))<sup>1</sup>.

يعني من علم عن الله فقد أتاه العلم الذي يجعله في حالة من هناء.

فحتى نعالج الظواهر الاجتماعية علينا أن نرجع لأصل المشكلة، فمثلا كي أعالج مشكلة الإيمو التي ظهرت في بعض المدارس بين الطالبات، ولها تفاصيل.. أصل المشكلة: شخص لا يعرف لماذا هو في الحياة؛ لأنه لا يعرف الله، لذلك ينحرف هذا الانحراف ويتمنى أن يقتل نفسه! كل الظواهر الاجتماعية إنما هي إفرازات لبؤرة واحدة ضعيفة، عندما تدرسين كل الظواهر الاجتماعية، ستجدينها تعود إلى شيء واحد (ضعف العلم عن الله)، ضعف العلم مع طباع تخص الناس.

لا بد أن نقرر أن العنف الأسري أحد أسبابه: عدم التعلق بالله في تربية الأبناء، فتشعري أنه لا يريد أن يهتدي، لا يسمع الكلام، أضربه؟! طبعًا ليس هذا هو الحل، الحل أنني أعرف من هو هذا الشخص..

مثلاً من الأمراض التي نعيشها الآن ما يسمى بمرض (فرط الحركة)، ٨٠% ممن تعرضوا للعنف الأسري شخّصت حالاتهم أنهم مصابين بفرط الحركة! هؤلاء يستلزمون منا الرحمة، هذا مصاب بمرض يجعل كهرباء بدنه أعلى من كهرباء بدن الناس، فتأتي له من الشحنات الكهربائية ما تسبب له الحركة، ليس بيده، المفروض نتقف المجتمع في معالجة فرط الحركة، هذا الطفل يحتاج أن يخرج إلى منطقة واسعة عدة أيام في الأسبوع، يجري فيها ما استطاع، يُترك يعمل أعمال في مناطق بعيدة عن الأخطار (منطقة برية)، هذا الكلام للعلاج يبدأ من ٨ سنين، أما قبل ٨ سنين له طريقة أخرى.

الكلام طويل في هذا لكن في النهاية نحن ابتلينا بهذه البلاءات، إذا ابتلينا لا بد أن صبرنا ومراعاته ستكون سبب لصلاحه، لا تياسي منه، لكن الضرب سبب لزيادة البلاء، الآلام البدنية ترفع الشحنة، فهي تضربه وهو يزيد! لا تفهم أن هذا الأمر ليس بيده، ثم يتشوه نفسياً!

<sup>1</sup> رواه مسلم في صحيحه.

نصح الناس الذين في بيوتهم أحد عنده فرط حركة أن يترك له مساحة خالية، غرفة خالية لا يوجد فيها مؤذيات، ويبقى يدور فيها، أما أن نظلم الطفل ونحسبه عن غرف فيها تحف ومنتظر الضيف الغائب! هو أحق بالبيت الآن، ولو سيأتي نجهز له ما ينبغي، لا بد أن نتعامل بالحقوق.

نحتاج إلى تغيير في التركيبة الاجتماعية لنحل بعض المشاكل التي تضر أبناءنا، والحمد لله ربنا موسع علينا، الجيل الذي قبل لم يشعروا بفرط الحركة، كانت الشوارع أحد التنفيسات، لا أحد يشعر بهم، واليوم ابتلينا بهذه الشقق لكن نوسع عليهم قليلاً فيها.

اتفقنا الآن على ثلاثة قواعد:

أولاً: أن الأسرة نعمة، المودة والرحمة فيها من الله.

ثانياً: الشعور أن الأبناء هبة أعطانا الله والمفروض ما نكفر بهذه الهبة.

ثالثاً: الشعور أن التربية من الله ونحن مرشدين في التربية.

رابعاً: نعلم أن الشريعة أرشدتنا لقواعد التربية سنذكر قاعدة واحدة تناسب العنف الأسري وهي القاعدة التي ذكرت في

الحديث: **((إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ))**<sup>١</sup>، ومثله قول النبي صلى الله عليه وسلم

لعائشة: **((يا عائشة! إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى العَنْفِ. وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا**

**سِوَاهُ))**<sup>٢</sup>.

فأكثر شيء تأخذ فيه أجر وأنت تعامل أي أحد أن يقع في قلبك إرادة الرفق، إذاً ليس كل ما خطر على بالي كلمة أقولها وفيها عنف أقولها، المشكلة الحقيقية أن ألسنتنا تسبق قلوبنا، عقولنا وراء ألسنتنا وليست أماننا، أتكلم بعد ذلك أفكر بالذي قلته!

العنف يبدأ بالكلام قبل أن يبدأ بدنياً، لأن التشويهات النفسية غالباً تكون تشويهات بدأت بالكلام، والكلام هو وسيلتك للوصول لكل أحد، ممكن الواحد يمارس العنف على أحد بعيد عنه بالهاتف يعطيه كم كلمة يمرضه على الفراش! الاعتداء يكون بالكلام ثم الاعتداء البدني.

هناك كلمة طيبة فيها رفق، وكلمة سيئة فيها عنف، وكلاهما يؤدي نفس الأمر.

إذاً هذه قاعدة من قواعد التربية وهي: الرفق.

ثم أن الرفق لا يكلف كثيراً في مقابل أن العنف استجابة لهوى النفس وبعده عن التقوى.

<sup>١</sup> رواه مسلم في صحيحه.

<sup>٢</sup> رواه مسلم في صحيحه.

سأختصر هذه النقطة لأنها مهمة وتدخل في كل أمور الحياة وليست فقط في العنف الأسري.

تسمعون إلى أي درجة يمدح الله في كتابه المتقين، كثير.. ﴿أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾، ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾. . أتدري ما التقوى؟ التقوى هذه أنت تمارسها بعدد أنفاسك..

الحياة عبارة عن قاعة كبيرة للاختبار، يقول الله عز وجل في أوائل سورة الملك ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١) الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور ﴿١ لِيَبْلُوكُمْ: يعني ليختبركم، كلنا في قاعة كبيرة للاختبار، ما هي الأسئلة؟ في سورة الفرقان ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ ٢ كل الناس من زوج إلى الخادمة، والجيران والأقرباء والزملاء في العمل.. كلهم على حد سواء في دين الله اختبار.

إذن من أجل أن نفهم التقوى:

الدنيا قاعة اختبار كبيرة.

والأسئلة هذه دائماً محيطة بنا.

من أعظم الأسئلة أن قلبك دائماً في صراع وخلط، فهو اختبار لك، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((التقوى هاهنا، التقوى هاهنا))<sup>٣</sup> كيف يحدث الصراع؟ كما في الحديث ((تُعْرَضُ الْفِتْنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عَوْدًا عَوْدًا فَأَيُّ قَلْبٍ أَشْرَبَهَا نَكِتَ فِيهِ نَكْتَةٌ سَوْدَاءٌ وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نَكِتَ فِيهِ نَكْتَةٌ بَيْضَاءٌ))<sup>٤</sup>.

تمثل التقوى بصورة حسية: اعتبر هذه الطاولة قلبك، خادمتك كسرت تحفة من التحف الغالية هذا قلبك، وهذه التحفة التي انكسرت، والخادمة التي كسرتها كأنها في الوسط بدأ الصراع حولها، الطاولة فيها يمين وفيها يسار تسمع صوتين:

صوت على اليمين يقول لك: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>٥</sup>، ﴿إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تَخْفَوْهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سَوْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا قَدِيرًا﴾<sup>٦</sup>.

<sup>١</sup> [الملك: ٢٠١]

<sup>٢</sup> [الفرقان: ٢٠]

<sup>٣</sup> رواه مسلم في صحيحه.

<sup>٤</sup> رواه مسلم في صحيحه.

<sup>٥</sup> [النور: ٢٢]

<sup>٦</sup> [النساء: ١٤٩]

وصوت على اليسار يقول لك: لو سكت عنها ستمادى وستفعل وستفعل.. وأنت في صراع والله ينظر إلى قلبك ((لَإِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ، وَلَا إِلَى صُورِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ))<sup>١</sup> خصوصاً لحظة الصراع.

إذا استجبت لصوت الحق عن يمينك أصبحت تقيًا، وإذا استجبت لصوت يسارك أصبحت متبعة لهواك، فإما أن تكون تقيًا وإما أن تكون صاحب هوى.

كرري الصورة على كل شيء، مثلا ولدي لا يريد أن يدرس، أستطيع أن أقول له: يا ولدي الله يرضى عليك الله يوفقك.. وأستطيع أن أقول له: سأضربك وسأفعل بك كذا وكذا.. والولد في الوسط معركة حوله، والله سينظر إلى قلبك هل

ستتابعين هواك أو ستتقي الله وتكوني أرفق به؟! ((لَإِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَةً)).

أخرج إنسان سوي النفسية جيد في علاقته الاجتماعية، أو أخرج ناجح عمليًا محطم نفسيًا! ثم إن زمن الذكاء انتهى، لا بد أن ننفذ التعليم، وبدل ما يُضرب على الصلاة يُضرب على جدول الضرب! كأن جدول الضرب من أسئلة القبر!

اليوم يقال ما هو نوع ذكاءك؟ وليس ما هي نسبة ذكاءك، من أنواع الذكاء ذكاء اجتماعي، ذكاء تواصل، ذكاء في اللغة، ذكاء صوتي، ذكاء حركي، ذكاء في الاتجاهات... ولا يلزم من كل الناس معرفة الرياضيات!

الذكاء ليس نوعًا واحد من أجل أن أعنفه وأحطم نفسيته لأنه لم يحل مسألة رياضية! ولذلك عندما نذهب إلى المدارس نجد أنهم ينتقمون من الكتاب! لهم حق فيما يفعلون فنحن الذين سببنا ظاهرة العنف اتجاه الكتاب.

ظهر مؤخرًا ما يسمونه بظاهرة (الدمار الشامل)! هذه الظاهرة بدأت تظهر في جدة والطائف، يأتون في آخر يوم من الاختبارات وحضرون معهم بويا سوداء ورماد وكل المعلمات في الكنترول مشغولين بأوراق الاختبارات، فيضعون اللون الأسود على كل المدرسة! ويضعون فوقها وهي مبللة الرماد بحيث لا يوجد حل لتنظيفها حتى يصير نقشير تام! ويكتبون الدمار الشامل، ثم صارت ثقافة ولهم مواقع يتواصلون بها في مجتمعنا! وهي مأخوذة من ثقافة خارجية بدأت في اليابان.

تصوروا في وضعنا الحالي في مدينة جدة نسبة التسرب في الصف الأول المتوسط ٤٢% ! مصيبة كبيرة! وصرنا نعالج في العيادات النفسية طالبات الصف الأول المتوسط لأنهم لا يقبلون الدخول، يأتي البلوغ مع بغض المدرسة.

أصبحنا نقدّم برامج نشط مسألة المنازل نقدّم برامج بديلة...

أکید أنّها تعرضت لعنف في المرحلة الابتدائية مما جعلها تصل إلى هذه النسبة في التسرب!

يجب أن تعالج بالرفق ((ما كان الرفق في شيء إلا زانه))<sup>٢</sup> التقوى التقوى التقوى، اتقي الله في لحظة الصراع، اتقي أن

تستجيب لهواك، ﴿أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾<sup>٢</sup> ونحن نربي أبناءنا ممكن أن نمارس عليهم الهوى ونترك التقوى.

<sup>١</sup> [رواه مسلم]

<sup>٢</sup> [الفرقان: ٤٣]



أولادنا اختبار عظيم ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ قِنَّةً أَتَّصِرُونَ﴾<sup>١</sup> كل القضية (أتصبرون)، نصبر والله عز وجل لا يضيع أجر من يصبر ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>٢</sup> تصبر وتتقي ما يضيعك الله.

هناك مشكلة وهي شعورنا أن هؤلاء الأبناء مُلك لنا وأن الله تعالى لن يحاسبنا عنهم.

لعلاج هذه المشكلة سنقرأ اسم **الديان** من هذا الحديث وسيبين لنا كيف تكون علاقتنا بهم..

يقول صلى الله عليه وسلم: ((يُحَسِّرُ الْعِبَادُ عُرَاءَ غُيْبَرًا بُهْمًا قَلْنَا : مَا بُهْمًا ؟ قَالَ : لَيْسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ ثُمَّ يُنَادِيهِمْ رَبُّهُمْ تَعَالَى بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعْدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرَّبَ : أَنَا الْمَلِكُ أَنَا الدِّيَانُ لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ وَلِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ عَلَيْهِ مَظْلَمَةٌ حَتَّى أَقْتَصَّهُ مِنْهُ ، وَلَا لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ أَنْ يَدْخُلَ النَّارَ وَلِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ حَتَّى أَقْتَصَّهُ مِنْهُ حَتَّى اللَّطْمَةَ قَلْنَا : وَكَيْفَ وَإِنَّمَا نَأْتِي اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عُرَاءَ غُيْبَرًا بُهْمًا ؟ فَقَالَ : بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ))<sup>٣</sup>.

توضيح للحديث: قُضِيَ عَلَى الْخَلْقِ وَدَخَلُوا وَتَعَدَّوْا الصَّرَاطَ صَارَ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي الْجَنَّةِ وَأَهْلُ النَّارِ فِي النَّارِ، لَا يَدْخُلُ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ إِلَى الْجَنَّةِ وَلَا أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ النَّارِ حَقَّ عِنْدَهُ سِوَاءَ كَانَ كَافِرًا أَوْ عَاصِيًا!

مثلاً ممرضة كافرة في مستشفى، خاصمتها وسرقتها واعتديت عليها.. هي كافرة ستدخل النار أكيد، لكن لن تدخل النار إلا وتأخذ حقها منك ((حَتَّى أَقْتَصَّهُ مِنْهُ، حَتَّى اللَّطْمَةَ، قَلْنَا: وَكَيْفَ وَإِنَّمَا نَأْتِي اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عُرَاءَ غُيْبَرًا بُهْمًا ؟ فَقَالَ:

بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ)) حتى اللطمة على من هو مستضعف تحت يدينا من أولادنا، كل لطمة لطمته ليس لحق شرعي سيأخذها منك، وعلى ذلك قيسي باقي الضرب والعقوبات.. كل هذا ستكون حقوقاً يأخذونها، فشعورك بالخاسبة عليهم يمنعك أن تكون عنيفاً معهم.

إذن مما يجدد من ظاهرة العنف الأسري (تنمية المراقبة لله في التعامل مع الأبناء).

بعد ما تفقنا على القواعد، نأتي إلى **تعريف العنف الأسري**..

**العنف الأسري** هو السلوك الذي يقوم به أحد أفراد الأسرة دون مبرر مقبول، ويلحق هذا السلوك ضرراً مادياً أو معنوياً أو كليهما بفرد من أفراد الأسرة.

<sup>١</sup> [الفرقان : ٢٠]

<sup>٢</sup> [يوسف: ٩٠]

<sup>٣</sup> المستدرك على الصحيحين للحاكم ، هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ الْإِسْنَادِ وَهُوَ مُخْرَجٌ.

توضيح للتعريف: الضرر بالضرب أو الحبس أو الحرمان من حاجات أساسية والإرغام على القيام بفعل ضد رغبة الفرد والطرده والسب والشتيم..

هناك عنف له مبرر، فعندما أجد انحراف سلوكي يجب أن يقع شيء من العنف المناسب، مثل لما نكتشف بنت لها علاقات.. يكون حازم، لأن الرفق هنا ليس في مكانه.

► نبدأ بأخطر مسألة وهو العنف الذي يعتبر من أخطر وأكثرها حساسية وهو: **العنف الجنسي** وهو تعرض الصغيرات للتحرش.

للأسف من الإخوان الكبار ممكن أحياناً من أهل البيت من المحارم الأخوال الأعمام الآباء أحياناً! من الصعب جداً مناقشته، لأنه مؤذي جداً أن نسمع كلام مثل هذا خصوصاً في مجتمعنا.. لكن نتكلم مباشرة عن الحل.

أولاً ظهور هذه الظاهرة دليل على الانحراف الفطري (شذوذ فطري)، العلاج مع نفس المعتدين إنما هو (بحماية المعتدى عليه)، لا نريد أن نفقد الثقة في المحارم والأقربين، لكننا لا نريد أيضاً أن نعطيهم ثقة ليست في مكانها.

كثير ممن يحصل منه الاعتداء الجنسي على المحارم ماكر عنده أساليب وحيل مع العائلة بحيث ما يُشكك فيه! وهي عندما تكون طفلة صغيرة خصوصاً إذا لم تتجاوز العشر سنين أو اثنتا عشرة سنة خائفة أن تتهم أو لا تفهم شيء..!

**كيف أعرف أنه حصل اعتداء وتحرش؟**

أولاً: **الخوف الشديد**، أول ما تنقلب الطفلة من مشاعر الأمن إلى مشاعر الخوف وتصبح تقول لأمها أريد أن أنام عندك، خذيني معك، لا تتركيني في البيت... كلام مثل هذا لا يستهان به.

ثانياً: **السرحان**، كانت دائماً تشاركني وفجأة أصبحت يغيب ذهنها عني، خصوصاً إذا كانت هذه الطفلة كتومة، وغالباً هؤلاء من مكرهم لا يصطادوا إلا الكتوم.

ثالثاً: **التبول اللا إرادي بعد انقطاعه**، يعني بعد ما كبرت وأصبح عمرها أربع سنين مثلاً ولا تتبول، وفجأة تتبول لا إرادياً ولو مرة واحدة معناه أن هناك مشكلة.

حتى أبسط التحرشات مثل الملامسة اليدوية تسبب للطفلة مثل هذه المشاكل.

نحن نأخذ بالاحتياط ولا نخون أحد، الشباب الأقل من ثلاثة وعشرين خطر علينا في البيت خال أو عم أو أخوان، خصوصاً إذا عرفت عنهم أنهم يشاهدون الأفلام، ويؤسفني أن أقول أنه يستوي المستقيم وغير المستقيم! نسأل الله أن يهديهم ويدلهم ويفتح عليهم.

انفراد البنت مع أحدهم، إرسالها للدوام مع أحد منهم، هذا الكلام مع المحارم، أما غير المحارم أسوأ حالاً، لا يقال هذا سائقنا له عشرين سنة؛ لأن لحظة الاعتداء لحظة شيطانية.

▶ نتكلم عن أخف نوع في نظرنا من العنف الأسري لكن هو في الحقيقة مشكلة وهو: **العنف بالكلام والشتم.**

الشتم الذي يسبب العنف له أنواع:

أوله وأهمه وأخطره: شتم الطفل أو الشاب بأمر يتصل بالبدن. هذه من أشد أنواع الأذية العنف الذي يسبب احتقار الذات.

في دراسة سرية للشابات المنحرفات في مدارس إحدى مدن المملكة.. أحد أهم أسباب انحرافهم التي يذكرونها (ردّ عن النفس احتقار الذات) تقول: على الأقل شخص ما يقول لي قصيرة، يقول لي جميلة! نعم هو يخادعها، لكن الذي أدخلها هذا الجو الذي يقول لها أنت قصيرة، أنت لست جملة، أي زوج سيتحملك! سيرجعك ثاني يوم! فتفتش عن واحد لا يرجعها ثاني يوم! تشعر أن هذا قرارها ولا بد أن تتحمله! هؤلاء ما بين أول متوسط إلى ثالث متوسط!!

طبعاً عنف وراء عنف سبب أنها تحتقر ذاتها، فتجرب أي شيء، تخرج تبحث عن شخص يقدر لها ذاتها كما يعبرون! أصعب أنواع الشتم أن يشتم الإنسان في ذاته في نفسه. هؤلاء أمانة في أعماقنا والرفق ما كان في شيء إلا زانه.

وقد مرت بنا حالة: طالبة في الصف الثاني الثانوي ربنا وفقها وحُطبت، أهلها فصلّوا لها فستان وقالوا لها لا بد أن ينزل وزنك، ودخلت في رجيم، صار عندها هبوط في القلب لأنها لا تأكل ولا تشرب وماتت!! دخلت في حالة نفسية، أهلها في البيت كانوا يقولون لها لا تفضحيننا ترى الفستان لا مجال لتوسيعه، أصبحت ضحية الفستان! هل صلاحها بقلبها أو صلاحها بيدتها؟!!

علينا أن نفكر في الأولويات، كيف نربي البنت وهي مراهقة على أن يكون نظرها كله على بدنّها! أين يكون قلبها وعقلها وعنايتها! هل ستنجح في الحياة عندما تكون رشيقة؟!!

أضرب هذه الأمثلة البسيطة لكي نرى أن مسألة العنف حقيقة منتشرة، في المقابل أحكي موقفاً عكسياً:

أم تدرّب بنتها على أن تقوم بأعمال البيت سادس ابتدائي، من بين الأعمال قالت لها أكوي مريولك، فحرقته، في العصر قالت لها حرقته، قالت الأم هذا قدر الله، الآن نذهب ونخيظ آخر، وذهبت بها وانتهى الموضوع، البنت تقول لي: أثر هذا الموقف علي أن أبقى وأتحمل المسؤولية، ما عنّفتني، الآن كبيرت وبقيت إنسانة مسؤولة بسبب هذا الموقف من أمها، فلما أدرب بنتي طبعي أن تخطئ، لا أتصور مدرّب أول مرة وما يخطئ.

البنت إذا ما سمعت من أمها (أحبك) ستذهب وتبحث عن أحد يقول لها هذا الكلام! فنحن نحصد ما نزرع..

تصوري أنا والزوج راكبين مركب أنا أجدف وهو يجدف، فجأة ونحن في وسط البحر قرر أن لا يجدف، هل ستجدفين بيديك أم ستتركين المركب يغرق؟! لا تقولي له أوقظ الأولاد وأنت تعلمين أنه سيستعمل العنف، أنا في مركب أجدف بيدي الاثنين.

واعلم أنه كل ما زدت صدقاً، يوفئك الله عز وجل، بل ويوفئك لتقليص حجم الرجل في البيت ويعينك على تحمّل المسؤوليات..

### تاريخ العنف:

متى بدأ تاريخ العنف الأسري؟ لما قتل أحد ابني آدم أخاه، أول قتل كان ممارسة للعنف الأسري، على ذلك هناك تاريخ طويل للعنف الأسري، كذلك ما حدث من إخوة يوسف. إذن هناك أسباب يمكن أن تساعد على وجود العنف الأسري، ولا بد من تشخيصها وتصورها من أجل أن تُعالج.

### الأسباب الشخصية:

هذا الحديث مهم جداً في تصور كسب القيم أو تصور فقدتها، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((إِنَّ اللَّهَ قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَخْلَاقَكُمْ كَمَا قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَرْزَاقَكُمْ))<sup>١</sup> معناه أن جزء من أخلاقك هو طباع طبعك الله عليها.

وهناك جزء ثاني مكتسب في حديث أشج بن عبد قيس لما قال له النبي صلى الله عليه وسلم: ((إِنَّ فِيكَ خَلْتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ الْجِلْمُ وَالْأَنَاةُ)). قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا أَتَخَلَّقُ بِهِمَا أَمْ اللَّهُ جَبَلَنِي عَلَيْهِمَا؟ قَالَ: ((بَلِ اللَّهُ جَبَلَكَ عَلَيْهِمَا))<sup>٢</sup> معناه أن هناك جبلة وهناك مساحة للاكتساب، نص الفطرة يقول إن الناس كلهم فطروا على الحق، ونص الجبلة يدل على أن الناس اختلفوا بالجبليات.

أين اختبارنا؟ في الجبلي. يقال لك: اعرف ما جبلة عليه، لتكتسب ما يجعلك تنتفع بما جبلة. لو كنت غضوباً، يقال لك: اكتسب من المعارف ما يجعل غضبك يهدأ لله، فيصبح غضبك سبب للقربة إلى الله؛ لأنك ستسكن غضبك لله.

لو كنت كريماً، اكتسب ما يجعل كرمك لله.

فسواء كانت الجبلة حسنة أو سيئة، في الحالتين لا بد أن تكتسب شيء ينفكك بهذه الجبلة.

مثال: عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان غضوباً، وعندما دخل الإيمان هدّب الغضب وصار يغضب لدين الله.

<sup>١</sup> المستدرک علی الصحیحین للحاکم، تعلیق الذہبی فی التلخیص : صحیح الإسناد.

<sup>٢</sup> سنن أبو داود، تحقیق الألبانی: "قول زارع: لما قدمنا المدينة.... ورجله (حسن دون ذكر الرجلين، (و قوله: وانتظر المنذر الأشج حتى... ورسوله) صحیح".

## ما علاقة هذا بالعنف؟

وأنا أعالج مشكلة العنف لا بد أن أعرف هذا الشخص العنيف ما طبعه الذي سبب له العنف، غضوب أو يقع في قلبه الحرقرة على نفسه، أو حقوق.. فتكتشف مشكلتك في طباعك، فتغذيه بمكتسبات تخفف عنك هذا الطبع. هناك برامج يسموها الجلسات المعرفية السلوكية أو شيء يقرؤه، تدخل له ثقافة على طبعه حتى يتغير، صحيح لا يزول لكن يصير في حالة الضبط له.

أحياناً كثيرة يكون العنف ناتج ليس عن مؤثرات خارجية إنما يكون عن طبع جبلي، يحصل العنف في الحسد، الكبير يحسد الصغير على شيء فيضربه! يصير عنيف على إخوانه.. قد أجد أوراق البنت الصغيرة ممزقة ومبعثرة، أخوه الكبير عبث في أغراضه! هذا يعتبر نوع من العنف، ماذا عنده جبلة؟ حسد لا يريد أن يثني على أخوه ولا يريد أن يصبح أحسن منه، المفروض تغذي الطفل الكبير بما يعالج الحسد، ولا تقولي له أنت حاسد أخوك، نكتشف ونمسكه لوحده ونغذيه. هذه لها برامج غالبها يدور على النصوص الشرعية، أقرأ كل النصوص حول الحسد وعن علاجه، الصلة بينك وبين الذي تربيته هو الكلام، والله هو المرئي سيرزقه من يعلمه ويعينك عليه.

المقصد أن هذا التاريخ الطويل من العنف يبيّن لك أن في الصفات الإنسانية ما يسبب وجود العنف، لا بد أن نبدأ في مجتمعنا، غالباً العنف جاء من الصفات النفسية أكثر من الصفات البيئية، استخدام السلاح ليست ثقافة مجتمعنا، فمن ثم جاء العنف ليس من المجتمع جاء العنف من الصفات الشخصية.

## الأسباب التي تساعد على وجود العنف الأسري:

١. أسباب ذاتية ترجع إلى صفات الشخص.
٢. أسباب اجتماعية غالباً ليست موجودة في مجتمعنا، نحن نتمتع بحياة مرفهة بفضل الله علينا.
٣. أسباب مجتمعية، مثل الذي يحدث عند إخواننا في مصر وفي تونس وفي العراق، كل هذا بعد انهيار الدول ينتشر العنف حتى داخل البيوت، نسمع قصص اليوم مثل أن عائلة لم يستطيعوا تقسيم الإرث بينهم فقتلوا بعضهم! عدم وجود الأمن.

المقصد أن هذا الأسباب الاجتماعية والمجتمعية بالنسبة لمجتمعنا غير متوفرة بنسب، أكثر شيء سبب في مجتمعنا الأسباب الذاتية، وهذا يحتاج لعلاج أسرع وأسهل، فقط المسألة تحتاج إلى نفضة تثقيفية.

لو دخلت على جاري ووجدتها تسب أولادها أقول لها ((ما كان الرفق في شيءٍ إلا زانه، ولا نزع من شيءٍ إلا شانه)) ترى هذه آثام عند الله حتى لو كانت بنتك... الناس لا زال الإيمان والتقوى موجود في قلوبهم أقل تنبيه يأتي بهم..

مثل هذا يخاطب به المعلمين والمعلمات لأن التعليم أصبح أكبر أحد مراكز وبؤر العنف المدرسي، ثم هذه المرأة التي في المدرسة عنيفة تدخل البيت وتصبح عنيفة.

يمكن يكون عنف ويمكن تكون تعرضت لعنف ويمكن تكون تعرضت لدلال عكس، وجاءت ووجدته ليس كما تريد فيتردد فعل بالعنف.

أسأل الله أن ينفعكم بما مضى من كلام، وأن يجعلنا من أهل الرفق، وأن يأجرنا على الرفق، وأن يجعلنا ممن ينشر في المجتمع ثقافة الرفق.

بارك الله لي ولكم فيما نقول ونسمع. والحمد لله رب العالمين.